فَــلا شَــخْــصٌ يَــرُدُّ جَــوابَ قَــوْلــي
ولا الــعــتَّــابُ يَــرْجــعُ فــي جَــوابِــي[١]
فــأرْجــعُ خــائــبــاً والــدَّمــعُ مِــنِّــي
هَــتُــونٌ مِــثْــلُ تَــسْــكــابِ الــسَّــحَــابِ[٢]
عــلــى أَنِّــي بــهــا الــمَــجْــنــونُ حــقّــاً
وَقَــلْــبِــيَ مِــنْ هَــواهــا فــي عَــذابِ[٣]

٢٣
البكاء على الزمن الضائع

[الطويل]

سَــأَبــكِــي عــلــى مــا فَــاتَ مِــنِّــي صَــبَــابَــةً
وَأَنْــدُبُ أَيَّــامَ الــسُّــرُورِ الــذَّوَاهِــبِ[٤]
وأَمْــنَــعُ عَــيْــنِــي أَنْ تَــلَــذَّ بِــغَــيْــرِكُــمْ
وإِنِّــي وَإِنْ جَــانَــبْــتُ غَــيْــرُ مُــجَــانِــبِ[٥]

(١) لا ردّ ولا جواب، فيضيع العتاب ويتبدّد كهباء منثور.
(٢) و (٣) ويعود من رحلة الوهم خالي الوِفاض، حاملاً في عينيه دمعاً منهمراً وهنا يتحقّق الشاعر من جُنونه، فقد تغلَّب القلب على العقل وبات يتعذّب لذلك.
ورد في لسان العرب ١٣ : ٥٠ مادة «برثن»/ «.. وبُرْثُن: قبيلة؛ أنشد سيبويه لقيس بن الملوّح:
لَخُطّابُ ليلى، يالَ بُرْثُنَ منكُمُ، أدلّ وأَمْضَى من سُلَيْكِ المقانبِ
غيره: بَرْثُنٌ حيٌّ من بني أسد». وانظر: الكتاب لسيبويه وشرح شواهده للأعلم: ١ : ٣٢٩، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ١ : ١٣١، المقرّب لابن عصفور: ٣٨.
(٤) الماضي والحاضر ركنا الحياة للبشر. الخطّ البياني للشاعر في الماضي سعيد بهيج باسم ذهب مع الريح لذا يبكيه الشاعر فلن يعود والحاضر بكاء وعذاب فقد غلبته الصبابة لمن يحب وانقطع حبل المودة.
(٥) تعوّدت عين الشاعر أن ترى وجهاً واحداً فلن يلذّ لها رؤية غيره، وهو يتجنّب رؤية حبيبته مرغماً، ولن يبتعد وجدانياً.

وخَـيْـرُ زَمـانٍ كُـنْـتُ أَرْجُـو دُنُـوَّهُ
رَمَـتْـنِـي عُـيُـونُ الـنَّـاسِ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـبِ(١)
فَـأَصْـبَـحْـتُ مَـرْحُـومـاً وكُـنْـتُ مُـحَـسَّـداً
فَـصَـبْـراً عـلـى مَـكـرُوهِـهـا والْـعَـواقِـبِ(٢)
ولَـمْ أَرَهـا إِلَّا ثَـلاثـاً عـلـى مِـنًـى
وعَـهْـدي بـهـا عَـذْرَاءَ ذَاتَ ذَوائِـبِ(٣)
تَـبَـدَّتْ لَـنـا كـالـشَّـمْـسِ تَـحْـتَ غَـمَـامَـةٍ
بَـدَا حـاجِـبٌ مِـنْـهـا وَضَـنَّـتْ بِـحَـاجِـبِ(٤)
عَـفـا الـلَّـهُ عـن لَـيْـلَـى وإِنْ سَـفَـكَـتْ دَمـي
فـإِنِّـي وإِنْ لـم تَـحْـزَنـي غَـيْـرُ عَـاتِـبِ(٥)
عـلـيـهـا ولا مُـبْـدٍ لِـلَـيْـلَـى شِـكَـايَـةً
وقد يَشْتَكِي المُشْكَى إلى كلِّ صاحِبِ(٦)

(١) دنا: اقترب. يتمنّى الشاعر أن ترجع أيام السرور حيث تناغم المحبين، ولكنّ عيون الحسّاد كانت بالمرصاد، تحملهم غيرتهم وحسدهم حتى أصابت الشاعر وفرحه بحبيبته من كلّ جهة.

(٢) أصبح الشاعر الآن يستحقّ الشفقة من الناس لما حلّ به ولطالما كانوا يحسدونه على سعادة تمتّع بها إلى جانب من أحبّ، وهو الآن يدعو نفسه للصبر على ما حلّ به من المصائب والويلات.

(٣) يذكر الشاعر رحلة العشق واللقاء، فقد التقى حبيبته ثلاث مرات خائفاً واجفاً، وقد عرفها عذراء ذات جدائل، تحمل معها رمز الطهارة وبراءة الطفولة.

(٤) آنئذٍ بدت كالشمس في إشراقها ودفئها ولطفها في يوم خالطه غيم، فظهرت إحدى عينيها له وانسدلت خصلات شعر على الجانب الآخر من وجهها، ممّا يعطيها وضعاً جذّاباً. ضنّت: بخلت.

(٥) يتمنّى الشاعر لليلى المغفرة والعفو من اللّه، فقد قتلته لما حلّ به من هجرها، وسيسامحها ولن يعتب عليها، حتى في حالة عدم حزنها.

(٦) إن الشاعر لن يثير في محبوبته الإشفاق لحاله حتّى ترقّ له اعتزازاً بالنفس، وهو مع ذلك قد يشكو حاله لكلّ صاحب.

يَـقـولـونَ: تُـبْ عـن ذِكْـرِ لَـيْـلَـى وحُـبِّـهـا
ومـا خَـلَـدِي عـن حُـبِّ لَـيْـلـى بِـتـائِـبِ[١]

٢٤
أحبُّكِ

[الطويل]

أُحـبُّـكِ يـا لـيـلـى وأُفْـرِطُ فـي حُـبِّـي
وتُـبْـدِيـنَ لـي هَـجْـراً عـلـى الـبُـعْـدِ والـقُـرْبِ[٢]
وَأَهْـوَاكِ يـا لـيـلـى هَـوًى لـو تَـنَـسَّـمَـتْ
نُـفـوسُ الـوَرى أَدْنـاهُ صِـحْـنَ مِـنَ الـكَـرْبِ[٣]
شَـكَـوْتُ إِلـيـهـا الـشَّـوْقَ سِـرًّا وَجَـهْـرَةً
وَبُـحْـتُ بِـمـا أَلْـقـاهُ مِـنْ شِـدَّةِ الـحُـبِّ[٤]
وَلـمَّـا رَأَيْـتُ الـصَّـدَّ مِـنْـهـا وَلـم تَـكُـنْ
تَـرِقُّ لِـشَـكْـوَاتـي شَـكَـوْتُ إلـى رَبِّـي[٥]
إِذا كـان قُـرْبُ الـدَّارِ يُـورِثُ حَـسْـرَةً
فـلا خَـيْـرَ لِـلـصَّـبِّ الـمُـتَـيَّـمِ فـي الـقُـرْبِ[٦]

---

(١) الخلد: المخيلة والبال. يقول الأصحاب ناصحين: دعْ هذا الحبَّ فلا طائل منه، وانس من لا يلقي إليك ببال، فيردّ عليهم أن لن يتوب ويشفى من هذا الحبّ الذي تمكن من قلبه وملك عليه جوارحه وعواطفه.

(٢) أفرط: أخرج عن المألوف حتى المغالاة. يخاطب الشاعر ليلى محبوبته بأنه مصرّ على حبها حتى المغالاة، وفي المقابل فإنّك لا تبدين سوى الهجر في حال اقترابي منك أو ابتعادي عنك.

(٣) تنسَّمت: تنفّست. الورى: البشر. أدناه: أقلّه. الكَرْب: الحزن. يحبّ الشاعر ليلى حبًّا عظيماً لا يطيق البشر أنفسهم في حال تنشقوا جزءاً يسيراً منه لعانوا آلاماً عظيمة ونزل بساحتهم الكرب الذي لا يُحتمل.

(٤) و (٥) شكا الشاعر لمحبوبته ما يعاني من البلاء في السرّ والعلن وكشف عما يؤلمه من الحبّ العظيم ولم ير تجاوباً فتوجّه بشكواه إلى ربّه.

(٦) قرب الدار يقرّب القلوب، ولكنّ الأمر مختلف مع الشاعر جرّ عليه الحسرة والألم، ولم يجرّ الخير للمتيّم العاشق.